

القديس كيرلس الأورشليمي



سيرته

- ولد في أورشليم حوالي عام 315م.
- كان أبواه تقيين غرسا في قلبه الإيمان المستقيم وحب الصلاة والكتب المقدسة.
- رسم كاهنًا عام 344 على يد مكسيموس أسقف أورشليم.
- وُكِّل إليه تعليم الموعوظين وتهيئهم للمعمودية المقدسة.
- أصبح أسقفًا على أورشليم حوالي سنة 348، بعد موت مكسيموس، وقد رسمه متروبوليت قيصرية فلسطين أكايوس الأريوسي مع أساقفة آخرين مشكوك بأرثوذكسيّتهم. لكن كيرلس ما لبث أن انقلب على الأريوسيين بعد تسلّمه الأسقفية ودافع بقوة عن مجمع نيقية وعقيدته.

□ دافع عن الأرثوذكسيّة ضدّ الأريوسيّة في المجمع المسكوني الثاني فشهِد له آباء المجمع قائلين:

"نحن نقرّ ونعترف بأنّ كيرلس الحبر الجليل الموقر... قد جاهد الجهاد الحسن ضدّ الأريوسيين في أوقات وأماكن مختلفة"

□ له العديد من العِظات التي تُصنّف في الخانة التعليميّة، موجودة ضمن سلسلة "أقدم النصوص المسيحيّة".

□ رقدَ عام 387م.

النفي

- نفي القديس كيرلس ثلاث مرّات وذلك بسبب مُدافعتِهِ عن الإيمان.
- **النفي الأول:** في عام 357م، عقد أكاكيوس مجمعًا في أورشليم وتمكن م- ن نفيه إلى تراسيوس. إلا أنه أُعيد إلى أسقفِيته بعد عام بقرار من مجمع سليفكيا عام 359.
- **- النفي الثاني:** في عام 360م تمكن أكاكيوس مجددًا من عقد مجمع ونفي كيرلس، وظلّ منفيًا حتى اعتقال يوليانوس الجاحد عرش الامبراطوريّة وإصداره عفوًا عن جميع الأساقفة المنفيين عام 362.
- **- النفي الثالث:** وهو النفي الأطول الذي استمرّ 11 عامًا، وذلك عام 367م بأمر من الامبراطور فالنس والذي دام أحد عشر عامًا أي حتى عام 378م.

كتاب "التّعليم الديني"

- يتألّف الكتاب من مجموعة عظات، ألقى معظمها في كنيسة القيامة.
- للكتاب معنويّة على الصّاعدين: التعليمي والروحيّ ، كما يقسّم جزئيين:
- **الجزء الأوّل:** يتعلّق بالموعوظين المُقبلين إلى الاستنارة، ويُسمّى "تعليم الموعوظين"، يتضمّن أهمّ العقائد مع تفسير لاهوتي لدستور الإيمان.

□ **الجزء الثاني:** يتضمّن خمسة تعاليم موجّهة إلى المستنيرين حديثًا، شرح للأسرار، التّعليم، سرّ المعموديّة، سرّ الميرون، سرّ الإفخارستيا.

□ **على الموعوظ أن يمارس الصوم والإمساك وتتقية الضّمير والمغفرة والصّلاة وأن يعبر عن توبته بالأقوال والأعمال.** كانت تقام له صلوات الاستقسام (طرد الشّياطين) وصلوات فيها استدعاء لنعمة الرّوح القدس "مأخوذة من الكتاب المقدّس"، بنفخة الرّوح القدس ووشمه بإشارة الصليب.

□ **هذه المعلومات ثبتتها إيثريا الرّحالة الغربيّة التي زارت فلسطين وكتبت عن أمور كثيرة تختصّ بحياة الكنيسة.**

التّعليم والإيمان

- التّعليم هو بناء ينبغي أن يُبنى بالتدرّج حجرًا فوق حجر.
- عقيدة الإيمان لم تتشكّل بمنطق بشريّ، لكن وُضعت ممّا هو الأكثر جوهرية في الكتاب المقدّس.
- الإيمان حياة تتطلّب إرادة تقودنا إلى علاقة شخصيّة وحيّة مع الأقانيم الإلهيّة: "أذكر الأشياء التي قيلت، لأنّنا نقولها، ليس فقط لكي نسمعها، بل لكي نحفظها بالإيمان".
- على الموعوظ أن لا يفشي إطلاقًا أسرار الإيمان لمن هو في الخارج "ليس لأن هذه الأسرار لا تستحقّ أن تُعلن إنّما لأن الأذن غير مستحقّة أن تسمعها".

الثالث

- حارب الأريوسية بقوة، من خلال اعترافه الصريح بألوهة المسيح والروح القدس.
- تجنّب استعمال لفظة ὁμοούσιος (الواحد في الجوهر) لسببين: أولاً، لأنها غير واردة في الكتاب المقدس. ثانياً، لأنها قد تُفهم بالطريقة الخاطئة ويقول: "يكفينا أن نعرف أنه يوجد أب وابن وروح قدس"، "آمنوا بابن الله الوحيد الأحد، ربنا يسوع المسيح، إله من إله، حياة من حياة، نور من نور، مماثل للأب في كل شيء"، "ليس ثمة وقت يفصل بين وجود الأب ووجود الابن، فهذا يعني أن ابن الله أزلي وهو بالتالي إله من إله".

□ الابن كشف نفسه في العهد القديم، وقد رآه موسى والأنبياء.
□ الابن رئيس الكهنة "رئاسة الكهنوت لم يرثها في الجسد ولم يُمسح بالزيت الذي وضعه البشر، كهنوته من الآب قبل كل الدهور".

□ يؤكّد القديس الأورشليمي على ألوهة الرّوح القدس، إذ يقول: إنّ الابن كشف الآب "مع الرّوح وعبر الرّوح"، الابن الوحيد يشترك في ألوهة الآب مع الروح القدس...".
□ هذا الكلام الذي تفوّه به القديس كيرلس رددّه بعده المجمع المسكوني الثاني الذي أضاف على قانون الإيمان البند المتعلّق بالروح القدس موضحًا حقيقة السّجود للروح القدس مع الآب والابن.

الفداء

- لأجل فدائنا كان لا بدّ لابن الله ألا يكون فقط إلهاً تاماً بل إنساناً تاماً أيضاً.
- الذي صُلب ومات على الصليب لم يكن إنساناً عادياً، بل الطَّبيعة الإنسانيَّة الموجودة في الأَقنوم الثَّاني (ابن الله)، وقد حصلَ ذلك ليُخَلِّصَ الإنسان.
- لقد نزل الربُّ إلى الجحيم لكنَّه صعد مع جمع. وقد صنع الربُّ معجزات عديدة لكن أعظمها على الإطلاق كانت عجيبة الصليب. وموت المسيح على الصليب لم يكن ظاهرياً بل فعلياً.

- إن لم يكن حدث الصّلب والقيامة حقيقيًا فالمجيء الثاني سيكون كذلك، ما يعني أن كلّ عمل الفداء ليس حقيقيًا، حينها يكون إيماننا باطلاً ومبنيًا على الباطل.
- الصّليب هو حقًا أساس ورجاء خلاصنا الذي لا يُخزى "بالصّليب أتى الفرح لكلّ العالم"، لقد تعهّد المسيح خطايا الجميع في جسده على الصّليب.
- في النّهاية، رغم أنّ المسيح ترك الأرض بالجسد وجلس في الأعالي، فإنّه ما زال معنا، وسيعود ثانية بمجدٍ للدينونة والغلبة الأخيرة، "لابسًا إكليل ملكوت الله".

الكنيسة

□ لقد أكمل الله وعده بإرسال الروح القدس، "المعزي ومقدس الكنيسة". إنه الرّوح ذاته الذي تكلم في الأنبياء والأبرار في العهد القديم. لكن نعمة الرّوح القدس صارت أعظم في العهد الجديد، "النعمة كانت أيضاً بين الآباء، لكن الآن فاضت بالأكثر. حينها كانوا في شركة مع الرّوح القدس، لكن الآن نحن نعمد تماماً به".

□ الكنيسة تسلّمت اسمها "لأنّها تجمع وتوجّد الكل"، تماماً كالصليب الذي بسط الربّ يديه عليه. **كلّ الناس عليهم أن يوقروا الكنيسة لأنها تكشف تماماً عقائد كل الأشياء السماوية والأرضية. تشفي النفس والجسد وتعلم الفضيلة. الكنيسة تفتح أبواب الحياة الأبدية عبر المعمودية والأسرار الأخرى.**

الأسرار

□ تكلم القديس كيرلس في الأسرار المقدسة وركّز على ثلاثة أسرار وهي: المعمودية، سرّ الشكر، الميرون.

المعمودية: هي نهاية العهد القديم وبداية الجديد.

+ دون المعمودية الماء لا يوجد خلاص.

+ الشهداء تعمّدوا بمعمودية الدم.

+ حوض المعمودية مقدّس يحمل المسيح عبر استدعاء الثالوث.

الإنسان جسد ونفس في المعمودية الماء لأجل الجسد والروح القدس من أجل النفس.

+ في القيامة «سنتسلم جميعنا أجسادًا خالدة لكن ليست
نفسها». هكذا عبر الجسد سنشارك في مجيء المسيح الثاني.
+ جرن المعموديّة صورة للقبر الذي دُفن فيه يسوع بعد أن
أُنزل عن الصليب". حين نتّجه إلى حوض المعموديّة فنحن
نمثّل إنزال المسيح عن الصليب والتوجّه إلى القبر.

+ التغطيس الثلاثي يمثّل الدفن ذي الثلاثة الأيام، بعد
أن يعترف المعتمد بإيمانه بالآب والابن والروح القدس.
+ المعموديّة موت ودفن وقيامه من بين الأموات.
+ يستعيد ما قاله بولس الرّسول الذي يؤكّد أنّ لا سلطانًا للموت
على الإنسان بعد أن يعتمد. ذلك لأنّ الإنسان يموت مرّة واحدة
في المعموديّة، ويحيا إنسانًا جديدًا على صورة المسيح
الناهض من بين الأموات.

سرّ الشكر

يُشَدِّدُ الْقَدِيسُ فِي حَدِيثِهِ عَنْ سِرِّ الشُّكْرِ عَلَى التَّالِي:

- أهِمِّيَّةُ السِّرِّ فِي عَمَلِيَّةِ خِلاصِ الْمُؤْمِنِينَ.
- الذَّبِيحَةُ الَّتِي تُقَامُ هِيَ رُوحِيَّةٌ وَغَيْرُ دَمَوِيَّةٍ.
- تُدْخِلُنَا فِي شَرِكَةٍ مَعَ هَذِهِ الْقُوَّاتِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي عَايْنَهَا وَسَمِعَهَا أَشْعِيَاءٌ.
- حُضُورُ الرَّبِّ فِي الْقِرَائِينَ الْمُقَدَّمَةِ وَاتِّحَادُنَا بِهِ فِي الْمَنَاوِلَةِ، "إِذْ أَنْتِ تَشْتَرِكُ فِي جَسَدِ الْمَسِيحِ وَدَمِهِ، تَصْبِحُ جَسَدًا وَاحِدًا وَدَمًا وَاحِدًا مَعَ الْمَسِيحِ".

□ في الصلّاة الرّبّيّة "خبزنا الجوهري" أنّه الأفخارستيّا المقدّسة. فهذا الخبز الجوهري يناسب طبيعتنا، لا يغذي فقط الجسد، إنّما له تأثير على جوهر النّفس، "إنّه يسري متخلّلاً كل كيّاننا".

□ مسؤوليّة الإنسان تبدأ الآن، بعد المناولة، فما يأخذه سيدان عليه إن تهاون في حفظه. يقول القدّيس كيرلس: "إنّ الله يهبك النّعمة، وشأنك أن تحفظها وتصونها".

سرّ الميرون

□ يدعو كيرلس سرّ الميرون المقدّس بـ"مسحة المسيح" التي بها ينال المؤمنون مواهب الرّوح القدس، فيقول: "كلّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح (غلا3:27)، فأصبحتم على مثال صورة المسيح ابن الله. "إنّكم أصبحتم مُسحاء بتلقيكم ختم الرّوح القدس". ثمّ يتابع قائلاً في العظة عينها: "بهذا الدّهن (الميرون) مُسحتَ رمزيّاً على جبينك وسائر حواسّك. وفي الوقت الذي يُمسح فيه جسدك بالدّهن المنظور تُقدّس نفسك بالرّوح القدس المحيي".

أقوال للقدّيس

- فلا نياس خوفًا من أن نفقد، نتيجة اليأس، الرجاء، لأننا يجب أن نترجى التوبة دومًا. فالذي لا ينتظر خلاصًا يجلب على نفسه شرورًا لا عدد لها.
- إنَّ الإنسان المؤمن غنيّ في فقره، لأنه يعلم أنّ الغذاء والكساء هما، وحدثهما، ضروريّان. وإذا هو يمتلكهما، يحتقر الغنى.
- أنتَ تُدعى مسيحيًا، فاحفظ جيّدًا هذا الاسم. ولا تكن سببًا في التّجديف على ربّنا يسوع المسيح، ابن الله. بل لتضئ أعمالك الصّالحة بين النّاس، لكيما إذا رأوها، يُمجّدون في المسيح ربّنا الأب في السّماوات.



طروبارية القديس

لقد أظهرتكَ أفعالُ الحقِّ لِرَعِيَّتِكَ، قانونًا لِلإيمانِ وَصورةً
لِلوَداعَةِ وَمُعَلِّمًا لِلإمساكِ، أَيُّها الأبُّ رَئِيسُ الكَهنةِ كيرلسُ،
لِذلكَ أَحرزتَ بِالتَّواضُعِ الرَّفعةَ وَبِالمسكنةِ الغِنى، فَتشفَّعْ إلى
المَسِيحِ الإلهِ فِي خِلاصِ نُفوسِنا.

المراجع والمصدر

- الأرشمندريت الرَّاهب بيطار، توما، سير القديسين وسائر الأعياد في الكنيسة الأرثوذكسيّة (السنكسار)- الجزء الثالث شباط - آذار 1999.
- الأخ المتوحّد د. غريغوريوس اسطفان، علم الآباء.
- ريمون رزق، تأمل وصلّ مع مسيحيّ القرن الرابع الجزء الثاني، تعاونية النور الأرثوذكسيّة للنشر والتوزيع م.م. 2012.
- موقع القديسة تقلا: St-Takla.org.